

حقائق التأويل

[21] أثابهم عليه، كما قال سبحانه لنبيه [ص]: (قال رب احكم بالحق) (1) وإلا لا يحكم إلا بالحق، ونظائر ذلك كثير في القرآن. 7 - وقال بعضهم: إن الهدى لما كان على وجوه وكان من جملة أقسامه الثواب وثبت عندنا أن الله سبحانه لا يضل عن الإيمان، علمنا أن المسألة بالألّا يزيف الله القلوب، إنما يراد بها الإزاعة عن الثواب وأقسامه: من شرح الصدور ومسار النفوس. والدليل على ذلك قوله سبحانه في موضع آخر: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (2)، فليس يخلو قوله تعالى: [يهد قلبه] من أحد أمرين: إما أن يكون أراد بذلك: الهداية إلى الإيمان، وهذا مستحيل، لأنه لا بد من أن تنقطع أفعال المكلفين من الإيمان، وتكون لها غاية، كما أن للتكليف غاية، فأخر ما يقع من إيمانه، لا بد - باجماع الأمة - من أن يهدي الله قلبه عند فعله، كما ضمن له سبحانه، ولا يكون هذا الهدى بأن يخلق في قلبه إيماناً ثابتاً، لأن ذلك يتصل بما لا غاية له من الإيمان، والهداية إلى الإيمان. فوجب أن يكون قوله سبحانه: [يهد قلبه] إنما عني به إثابة قلبه على إيمانه، وإنما خص سبحانه القلوب بهذا [الذكر] (3)، دون سائر الجوارح. لأن القلب شريف الأعضاء ونفيسها، ومقدمها ورئيسها، ولهذا قال تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) (4)، ولم يقل سمع أو بصر أو غير ذلك: من آلات البدن _____ (1) الانبياء: 112. (2) التغابن: 11 (3) وفي نسختين (الفكر) (4) ق: 37. _____